سلسلة قصص الأخلاق

10

قصص في الحياء

إعداد/ منصور علي عرابي

إخراج / علي بدوي

obeikandl.com

جميع الحقوق محفوظة

صَمْتٌ وَحَيَاءٌ

سَمِعَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – الرَّسُولَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ: "البِكْرُ تُسْتَأْذَنُ". أيْ: يَأْخُذُ وَلِيُّ أمْرِهَا رَأْيَهَا عِنْدَ زَوَاجِهَا، فأدْرَكَتْ أنَّ هَذَا القَوْلَ يَحْتَاجُ إِلى تَوْضِيحٍ وَتَفْصِيلٍ؛ فَهِيَ تَعْلَمُ أنَّ الفَتَاةَ البِكْرَ تَسْتَحِي أنْ تَذْكُرَ مُوافَقَتِهَا صَرَاحَةً فِي أمْرِ زَوَاجِهَا، وَعِنْدَمَا يُعْرَضُ عَلَيْهَا هَذَا الأمْرَ فَإِنَّهَا تَسْكُتُ وَلَا تُجِيبُ، حَيَاءً وَخَجَلًا.

فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – للرَّسُولِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِنَّ البِكْرَ تَسْتَحِي.

فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "رِضَاهَا صَمْتُهَا". وَبِذَلِكَ حَفِظَ الرَّسُولُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لِكُلِّ فَتَاةٍ حَيَاءَهَا، وَجَنَّبَهَا مَشَقَّةَ الإِفْصَاحِ عَنِ الْمُوَافَقَةِ عَلَى الزَّوَاجِ صَرَاحَةً.

حَيَاءُ الجَائِعِ

كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – فَقِيرًا، وَذَاتَ يَوْمٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْجُوعُ، فَخَرَجَ إِلَى الطَّرِيقِ بَحْثًا عَنْ طَعَامٍ، فَمَرَّ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – فَاسْتَحَيَا أَبُو هُرَيْرَةَ أَنْ يُخْبِرَهُ بِجوعِهِ الشَّدِيدِ، فَسَأَلَهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ فَرُبَّمَا يَسْتَضِيفُهُ، فَأَجَابَهُ أَبُو بَكْرٍ عَنْ مَسْأَلَتِهِ وَانْصَرَفَ. ثُمَّ مَرَّ عَلَيْهِ عُمَرُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – فَسَأَلَهُ عَنِ الآيَةِ رُبَّمَا يَسْتَضِيفُهُ، فَأَجَابَهُ عُمَرُ عَنِ الآيَةِ وَانْصَرَفَ أَيْضًا.

ثُمَّ مَرَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَعَرِفَ مَا فِي نَفْسِهِ فَأَخَذَهُ إِلَى البَيْتِ، فَوَجَدَ فِيهِ قَدَحًا مِنْ لَبَنٍ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَحْضِرَ بَاقِي أَهْلِ الصُّفَّةِ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَحَزِنَ أَبُو هُرَيْرَةَ خَشْيَةَ أَنْ لَا يَتَبَقَّى لَهُ شَيْءٌ وَلَكِنَّهُ اسْتَحَى أَنْ يُخْبِرَ الرَّسُولَ بِذَلِكَ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ، وَجَاءَ بِهِمْ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُعْطِيَهُمُ اللَّبَنَ. فَشَرِبَ أَهْلُ الصُّفَّةِ جَمِيعًا.

ثُمَّ أَخَذَ أَبُو هُرَيْرَةَ القَدَحَ وَلَمْ يَتَبَقَّ فِيهِ إِلَّا القَلِيلُ فَتَبَسَّمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَشْرَبَ فَشَرِبَ حَتَّى شَبِعَ.

حَيَاءُ الزَّوْجَةِ

ذَاتَ يَوْمٍ، كَانَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – تَسِيرُ فِي الطَّرِيقِ وِهِيَ تَحْمِلُ النَّوَى عَلَى رَأْسِهَا، فَقَابَلَهَا الرَّسُولُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رَاكِبًا نَاقَتَهُ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ. فَلَمَّا رَآهَا أَشْفَقَ عَلَيْهَا، فَأَخَذَ يَقُولُ لِنَاقَتِهِ: "إِخْ.إِخْ ". لِتَرْكَبَ أَسْمَاءُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – خَلْفَهُ.

فَاسْتَحْيَتْ أَسْمَاءُ أَنْ تَسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ. وَتَذَكَّرَتْ غَيْرَةَ زَوْجِهَا الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – فَرَفَضَتْ أَنْ تَرْكَبَ، وَكَانَ الزُّبَيْرُ مَعْرُوفًا بِغَيْرَتِهِ الشَّدِيدَةِ، فَعَرِفَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّهَا قَدِ اسْتَحْيَتْ فَتَرَكَهَا وَانْصَرَفَ.

وَمَشَتْ أَسْمَاءُ وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِهَا حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى بَيْتِهَا، فَحَكَتْ لِزَوْجِهَا مَا حَدَثَ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – شَفَقَةً بِهَا: وَاللهِ لَحَمْلِكِ النَّوَى عَلَى رَأْسِكِ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِكِ مَعَهُ.

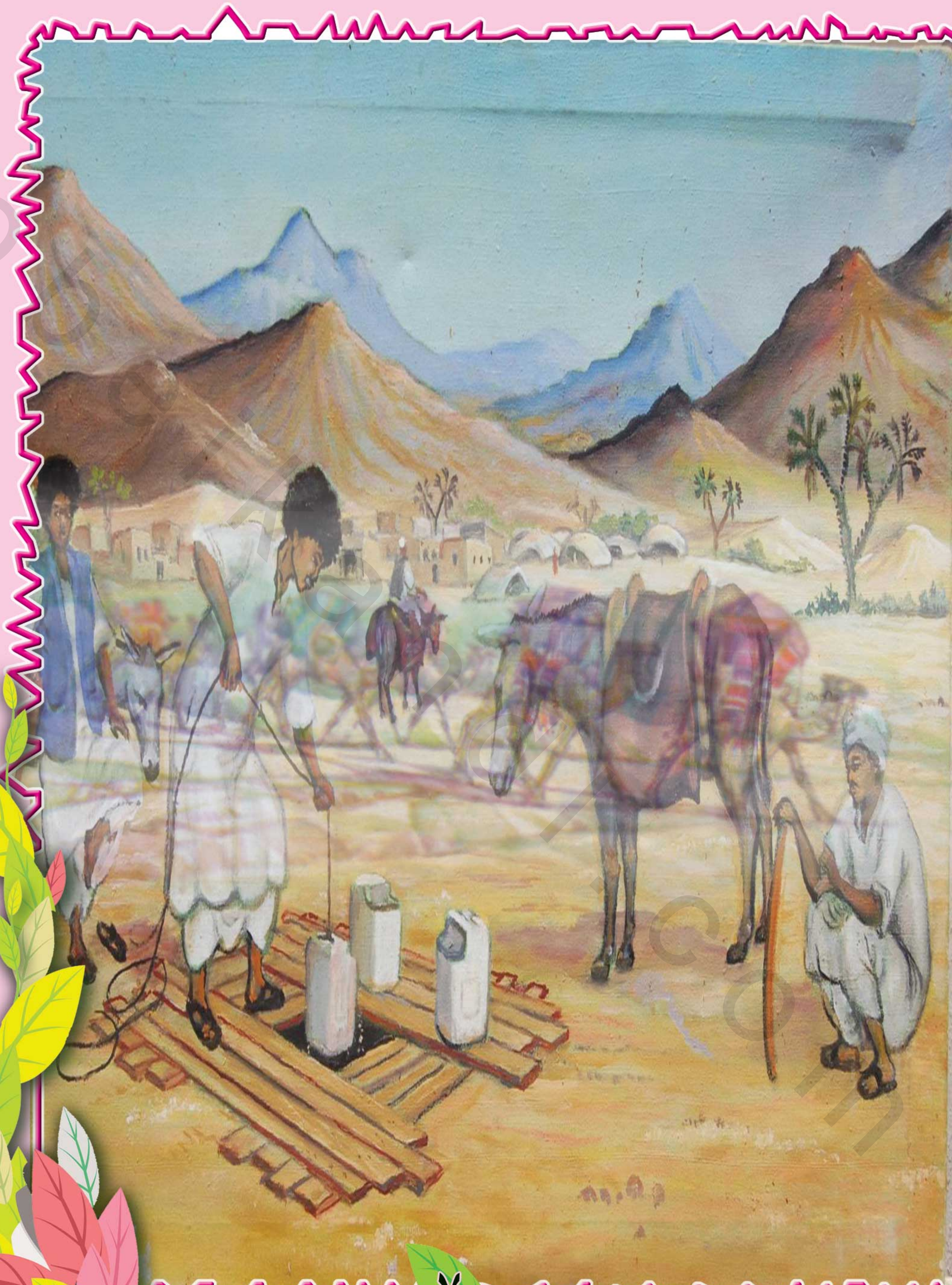

حَيَاءُ الْمَرْأَتَيْنِ

حَوْلَ بِئْرِ مَاءٍ فِي أَرْضِ مَدْيَنَ، وَجَدَ مُوسَى – عَلَيْهِ السَّلَامُ – النَّاسَ يَتَزَاحَمُونَ؛ لِيَسْقُوا أَنْعَامَهُمْ، وَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ تَمْنَعَانِ غَنَمَهُمَا مِنَ الذِّهَابِ إِلَي الْمَاء، فَتَعَجَّبَ مِمَّا رَأى.

سَأَلَ مُوسَى الْمَرْأَتَيْنِ عَنِ السَّبَبِ، فَأَخْبَرَاهُ أَنَّ أَبَاهُمَا شَيْخٌ كَبِيرٌ لاَ يَقْوَى عَلَى السَّقْي لَهُمَا، وَأَنَّهُمَا إِنْ يَصْبِرَا حَتَّى يَنْتَهِيَ الرِّجَالُ خَيْرٌ لَهُمْا مِنْ مُزَاحَمَتِهُمْ. فَسَقَى لَهُمَا مُوسَى، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ، وَجَلَسَ يَسْتَرِيحُ تَحْتَ ظِلِّهَا.

وَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ إِذْ بِإِحْدَى الْمَرْأَتَيْنِ تَعُودُ إِلَيْهِ وَهِيَ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ، مَشْيَةَ الفَتَاةِ العَفِيفَةِ، وَتَقُولُ لَهُ: إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا. فَيَذْهَبُ مُوسَى إِلَيْهِ، فَيَجِدُهُ حَكِيمًا طَيِّبًا، فَيَحْكِي لَهُ عَنْ سَبَبِ خُرُوجِهِ مِنْ مِصْرَ إِلَى أَرْضِ مَدْيَنَ، فَيُطَمْئِنُهُ الشَّيْخُ وَيَسْتَضِيفُهُ، وَيُزَوِّجُهُ إِحْدَى ابْنَتَيْهِ وَأَشَدُّهُمَا حَيَاءً، تَلِكَ الَّتِي جَاءَتْهُ تَدْعُوهُ إِلَى لِقَاءِ أَبِيهَا.

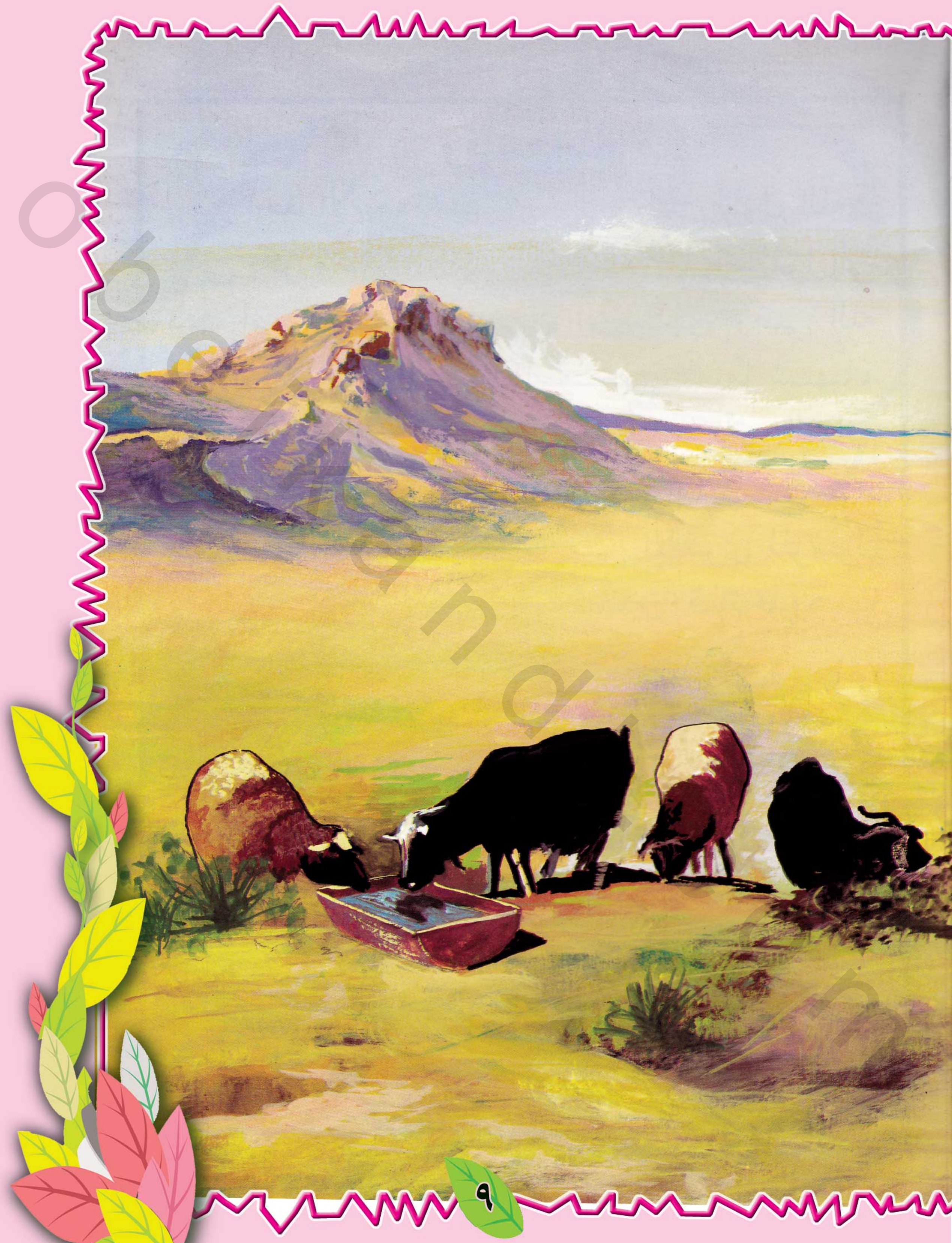

حَيَاءٌ مِنَ اللّهِ

لَمَّا عُرِجَ بِرَسُولِ الله - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى السَّمَاءِ، فَرَضَ الله عَلَيْهِ وَعَلى أُمَّتِهِ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ. وَفِي طَرِيقِ العَوْدَةِ مَرَّ النَّبِيُّ عَلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: مَا فَرَضَ الله لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟. رَدَّ النَّبِيُّ: "فَرَضَ خَمْسِينَ صَلاَةً".

قَالَ مُوسَى: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ.

فَرَجَعَ النَّبِيُّ - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى رَبِّهِ يَسْأَلُهُ التَّخْفِيفَ، فَأَنْقَصَ الله مِنْهَا عَشْرًا، فَرَجَعَ إِلَى مُوسَى، فَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى رَبِّهِ يَسْأَلُهُ التَّخْفِيفَ، وَظَلَّ رَسُولُ الله يَتَرَدَّدُ بَيْنَ رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَمُوسَى فِي سُؤَالِ التَّخْفِيفِ، حَتَّى صَارَتِ الصَّلاَةُ خَمْسًا فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ.

فَقَالَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلاَمُ -: رَاجِعْ رَبَّكَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:

"اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي". وَذَلِكَ مِنْ كَثْرَةِ رُجُوعِهِ إِلَيْهِ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَلَحَّ فِي طَلَبِ التَّخْفِيفِ.

إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً

حَيَاءٌ مِنَ المَوْتَى

لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – دُفِنَ فِي الْحُجْرَةِ الَّتِي قُبِضَتْ رُوحُهُ فِيهَا، إِذْ الأَنْبِيَاءُ – عَلَيْهِمُ السَّلَامُ – يُدْفَنُونَ حَيْثُ تُقْبَضُ أَرْوَاحُهُمْ، فَكَانَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – تَدْخُلُ تِلْكَ الْحُجْرَةِ وَهِيَ مُتَخَفِّفَةٌ مِنْ الثِّيَابِ.

وَعِنْدَمَا تُوفِّيَ أَبُوها أَبُو بَكْرٍ وَدُفِنَ مَعَ الرَّسُولِ فِي تِلْكَ الْحُجْرَةِ، ظَلَّتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ تَدْخُلُ مُتَخَفِّفَةً مِنْ ثِيَابِهَا، كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَتَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي، وَهُوَ أَبِي.

فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – فِي نَفْسِ الْحُجْرَةِ مَعَ الرَّسُولِ وَأَبِي بَكْرٍ، تَغَيَّرَ الْحَالُ، فَمِنْ ذَلِكَ اليَوْمِ كَانَتْ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ إِذَا دَخَلَتْ تِلْكَ الْحُجْرَةِ لَا تَدْخُلُ إِلَّا وَهِيَ مُحْتَشِمَةٌ، وَعَلَيْهَا حِجَابُهَا، حَيَاءً أَنْ يَظْهَرَ شَيْءٌ مِنْ زِينَتِهَا أَمَامَ رَجُلٍ لَيْسَ مِنْ مَحَارِمِهَا، حَتَّى وَإِنْ كَانَ مَيِّتًا وَمَدْفُونًا فِي قَبْرِهِ، أَوْ كَانَ فِي مِثْلِ مَكَانَةِ عُمَرَ عِفَّةً وَأَمَانَةً وَحَيَاءً.

حَيَاءُ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم

عِنْدَمَا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – صَنَعَ طَعَامًا كَثِيرًا، ثُمَّ دَعَا النَّاسَ لِيَأْكُلُوا فأَكَلُوا، ثُمَّ خَرَجُوا وَبَقِيَ ثَلَاثَةٌ لَمْ يَخْرُجُوا، وَزَيْنَبُ جَالِسَةٌ فِي جَانِبٍ مِنَ البَيْتِ تَنْتَظِرُ رَسُولَ اللهِ. فَلَمَّا وَجَدَ النَّبِيُّ هَؤُلَاءِ جَالِسِينَ يَتَحَدَّثُونَ اسْتَحْيَا مِنْهُمْ وَخَرَجَ.

وَبَعْدَ مُدَّةٍ دَخَلَ فَوَجَدَهُمْ كَذَلِكَ، فَاسْتَحَيَا وَخَرَجَ، وَتَكَرَّرَ ذَلِكَ الأَمْرُ مَرَاتٍ. فَذَهَبَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – فَجَلَسَ فِيهَا، فَلَمَّا عَلِمَ بِخُرُوجِهِمْ دَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ، فَأَنْزَلَ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ – قُرْآنًا يُعَلِّمُ فِيهِ الْمُسْلِمِينَ الأَدَبَ مَعَ الرَّسُولِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – خَاصَّةً، وَمَعَ النَّاسِ عَامَّةً، إِذَا دُعُوا إِلَي طَعَامٍ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾